التعليم المستمر في القرآن الكريم والسنة النبوية

Continuing Education in the Noble Qur'an and the Sunnah of the Prophet

ماهر محمد شاكر

طالب دكتوراة – جامعة اليرموك كلية الشريعة – قسم التربية الاسلامية– محاضر في جامعة غازي عنتاب – كلية العلوم الاسلامية

Email: Sh.maher.10@gmail.com.

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/٨/٢١ تاريخ القبول: ٢٠٢٣ /٨/٢٩ تاريخ النشر: ٢٠٢٣/٩/١٥

الملخص: هدفت الدراسة إلى البيان التأصيلي في القرآن الكريم والسنة النبوية لنظام تعليمي قائم اليوم، تتنافس فيه المؤسسات التعليمية من خلال طرح نظام التعليم المستمر كحاجة ملحة في زمن الانفجار المعرفي الذي تعيشه البشرية، مستفيدا من المنهج الاستقرائي في هذه الدراسة، وقد توصلت الدراسة إلى بيان الكم الكبير من الأدلة بنصها أو إشارتها إلى تأكيد هذا المعنى الجليل، وكيف كان حرص التوجيه الإلهي والإرشاد النبوي إلى تعزيز هذا الفهم للعلم على مستوى الفرد والمجتمع وفي شتى المجالات، وأكدت الدراسة أن شمول الاستمرارية في التعليم التي وجّه إليها الوحي نصوصه تشمل مسالك الحياة كلها على اختلاف العلم وتنوعها، وقد أوصت الدراسة بزيادة الاهتمام بتأصيل المفاهيم العلمية وخصوصا التربوية وأوصت بالاهتمام بالتعليم المستمر كمفهوم إسلامي ينعكس على المجتمع والفرد كثقافة وممارسة حياتية.

الكلمات الدالة: التعليم المستمر، التربية المستمرة، القرآن الكريم، السنة النبوية.

Abstract: The study aimed to provide a foundational statement in the Holy Qur'an and the Prophet's Sunnah for an educational system that exists today, in which educational institutions compete by presenting the continuing education system as an urgent need in the time of the knowledge explosion that humanity is experiencing, benefiting from the inductive approach in this study. The study arrived at a large statement From the evidence in its text or its reference to confirming this great meaning, and how keen the divine guidance and prophetic guidance was to enhance this understanding of science at the level of the individual and society and in various fields, and the study confirmed that the inclusion of continuity in education to which revelation directed its texts includes all paths of life regardless of science. And its diversity. The study recommended increasing attention to consolidating scientific concepts, especially educational ones, and recommended paying attention to continuing education as an Islamic concept that reflects on society and the individual as a culture and life practice.

Keywords: continuing education, continuing education, the Holy Qur'an, the Sunnah of the Prophet.

التعليم المستمر في القرآن الكريم والسنة النبوية

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين/ **وبعد:** فإنّ دراسة الفكر التربوي العام بأصوله وتاريخه أمر يمثل ضرورة لا غنى عنها، وتزداد الحاجة إليه في ضوء ما يواجه العالم المعاصر من تحديات لها انعكاساتها على العالم الإسلامي، ويعد الفكرُ التربوي –الذي يمكن الكشف عنه من خلال تحليل الأصول المختلفة للتربية الإسلامية–أحدَ الجوانب الضرورية؛ لما لهذا الفكر من تأثير على توجيه حركة التربية الإسلامية ومساراتها والممارسات التربوية الناتجة منها والمتسقة معها.

والأمة الإسلامية في واقعها الملموس بأمسّ الحاجة إلى العودة إلى أصولها، ومنابع تشريعها المتمثلة بالكتاب والسنة، ودراسة كتب التراث، وعلى وجه الخصوص كتب التربية، والوقوف على ما فيها من أفكار مفيدة تخدم الأمة، وتعينها على الخلاص من واقعها المرير.

وما من شك في أن الفكر التربوي الإسلامي الذي عبر عنه العلماء المسلمون عبر العصور يعيد إلى الأمة شخصيتها التي يمكن أن تكون قد دُرست بعض معالمها بسبب بُعد أبنائها عن ثوابت دينها وشريعتها وانبهارهم بالحضارة الغربية؛ ظنّاً منهم–كما صوَّر لهم ذلك أعداؤهم– أن التمسك بها يعني الرقي، والسير في ظلالها يعني الوصول حتماً إلى ما وصلوا إليه، متجاهلين بذلك أن لكل أمةٍ من الأمم على وجه الأرض عاداتها وتقاليدها وثقافتها، وأن ما يوافق مجتمعاً قد لا يوافق مجتمعاً آخر، فكانت الطامة الكبرى بالسير وراء سراب لم تجنِ منه الأمة إلا الويلات.

ومما يزيد الأمر تعقيداً أن نرى كتب التربية العربية تهتم بالمفكرين الغربيين، وتَعرض لآرائهم أكثر مما تهتم بالمفكرين المسلمين، ولعل ذلك يرجع إلى تأثر نفر من المفكرين بالمستشرقين، فضلاً عن تشبعهم بالثقافة الغربية، وانبهارهم بالتفوق العلمي في الغرب، مقارنة بما هو حادث في بلاد الشرق الإسلامي.

وليس القصد من ذلك الدعوة إلى عدم الاهتمام بالفكر التربوي الغربي؛ لكن مع الاهتمام به لا بد من الاهتمام بالفكر التربوي الإسلامي، والذي يمثل بأفكار علمائه رافداً خصباً يمكن أن يسير متوازياً مع غيره من فكر.

والحق أن المدقق في الفكر التربوي الإسلامي يلحظ أنه يمثل أساساً أو قاعدةً للكثير من مبادئ وممارسات التربية الغربية؛ وبذا يكون مفيداً إبرازُ جوانب هذا الفكر الذي اختار الباحث منه أمثلةً وأسساً مع شواهدها للتركيز عليها كتأصيل للتعليم المستمر من منظور تربوي إسلامي، وتعتبر دراسة التعليم المستمر من منظور إسلامي ذات أهمية خاصة بالنسبة للمربي؛ لأنها تساعده على التعرف على القوى والمؤثرات التي يمكن أن تؤثر في نظام التعليم المستمر، وتدفعه لفهم التطور التاريخي لهذا النظام، ومبدأ التعليم المستمر من المبادئ الخالدة التي دعا إليها الإسلام وطبقها المسلمون منذ فجر الدعوة، فهو مبدأ يتيح لكل الناس فرص التعليم دون تفريق بينهم. وهو أيضاً مبدأ لا ينتهي بمرحلة دراسية محدودة، وإنما يظل ملازماً للإنسان طوال حياته، فهو يحرص على الاستمرار في طلب العلم وعدم التوقف عن طلبه مهما تكن الأسباب(١).

أسئلة الدراسة:

تتكون الدراسة من أسئلة:

- ما مفهوم التعليم المستمر؟
- ما التأصيل الشرعي للتعليم المستمر في القرآن الكريم؟
- ما التأصيل الشرعي للتعليم المستمر في السنة النبوية؟

وستتم الإجابة عن هذه الأسئلة ومناقشتها من خلال مباحث الدراسة الثلاثة وفروعها.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى بيان مفهوم التعليم المستمر، وبيان الأدلة التي نصت أو أشارت إلى التعليم المستمر وكيف تناولت النصوص القرآنية والآثار النبوية هذا المعنى الجليل.

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية الدراسة من كونها تنبّه إلى أهمية فكرة التعليم المستمر وإلى بيان مقدار عناية القرآن والسنة بهذا المعنى ليكون ذلك مدعاة إلى زيادة الاهتمام به من الأفراد والمجتمعات في وقت أحوج ما نكون بحاجة إليه في زمن أصبح الإنسان فيه تابعا للمعرفة.

منهج الدراسة:

يستخدم الباحث في دراسته المنهج الاستقرائي والتحليلي ، حيث يتم تتبع الآثار والنصوص وتحليلها للوصول إلى الدلالات الواضحة ذات الصلة بموضوع الدراسة.

حدود الدراسة:

تركز الدراسة على بيان التأصيل الواضح للتعليم المستمر في القرآن الكريم والسنة النبوية من خلال النصوص الواردة في هذا المفهوم.

تعريف التعليم المستمر

لا يوجد تعريف عامٌّ وشامل متفقٌ عليه بشأن التعليم المستمر، وذلك لتعدد التعريفات وتنوعها، بين الباحثين من جهة؛ والمنظمات الدوليّة من جهةٍ أخرى.

كما أنّ هناك مجموعة من العوامل والمتغيرات أدّت إلى ضبابية مفهومه، منها:

- **متغيرات تربوية** تتمثل في عدم توفير التعليم لمن هم في سن التعليم الأساسي، وتسرب للدارسين.
- **ومتغيّرات تنموية** تتمثل في الحاجة إلى برامج تنمية للعاملين في مجالات التنمية المختلفة لتطوير قدراتهم العلمية وزيادة إنتاجيتهم، مما يدفع بعجلة التنمية الشاملة في المجتمع.

وهنا تصبح برامج التنمية المهنية للعمال جزءاً من برامج التعليم المستمر، أو مرادفاً لها.

لذلك نجد جيرالد أبس Jerald Apps وهو أحد المعنيين بمجال التعليم المستمر يورد عدة مصطلحات للتعليم المستمر، منها[٢]:

- التربية مدى الحياة –التربية العرضية – التربية غير المستمرة– التعليم للكبار والتربية الدائمة – التربية بعد المرحلة القانونية –الدراسات غير التقليدية.

وكل هذه التسميات على اختلاف دلالاتها الجزئية من حيث العموم والشمول تصب في مسمى واحد هو **التعليم المستمر**؛ بمفهومه العام الشامل كمّاً ونوعاً، زماناً ومكاناً.

ويعد التعليم المستمر "تعليمَ الكل للكل بشكل كلي"، وهذا شعار ما زال التربويون يرددونه، وقد نادى به معلم الواقعية الحسية " Comeniusكومنيوس"؛ حيث دعا بتربية جماهيرية عامَّة لكل الفئات المهنية والطبقات الاجتماعية، بحيث لا يفرق فيها بين رجلٍ وامرأة، وغنيٍ وفقير؛ لأن التربية تحرر الناس من سلبياتهم ونقائصهم، وتزيد إنسانيتهم التي تنمو بالعقل والفكر والعمل.

ويعد Bachelard باشلارد أول فيلسوف يقترب من فكرة التربية المستمرة بشكل مباشر في العصر الحديث، حيث يرى أن الثقافة التي تتوقف عند مدرسة الطفولة والشباب هي ثقافة جامدة، ويرى أن الفكر العلمي ينمو تربوياً بصفة مستمرة، وبالتالي ينبغي متابعته[٣].

والتعليم المستمر يعني ببساطة: إتاحة فرص تعليمية مستمرة طوال حياة الأفراد، وذلك بقصد تنمية جميع أفراد المجتمع وتطويرهم ليتمكنوا من تحقيق التكيف مع المتطلبات الحضارية، والتفاعل مع برامج التنمية، حيث يتوخى التعليم المستمر تنمية شخصية الإنسان تنمية شاملة في جميع مجالات الحياة المختلفة، وتساعد الإنسان على تحمل مسؤولياته الفردية والاجتماعية، وذلك أن معظم المستفيدين من هذا النوع من التعليم يتمتعون بخبرات متنوعة تختلف في حجمها وعمقها، لذلك يمكن تحديد مفهوم التعليم المستمر من زاوية الخبرة بأنه " نموٌّ مستمرٌّ لخبرات الدارسين في الاتجاهات المنشودة"[٤].

ويعرِّف عمار[٥] **التعليم المستمر** على أنّه: نشاطٌ علميٌّ فنيٌّ ثقافيٌّ له رسالته ومؤسساته الخاصَّة، ويسعى إليه الكبير؛ أو الجماعة بدافعٍ ذاتي، يركز على مفاهيم وقيم وفكر وممارسات تقتضيها إشكالية المواطنة في عالم اليوم بمتغيراته.

ويعرفه برستون Preston بأنه: " مجمل العمليات التعلمية التي تجرى بطريقةٍ نظاميّةٍ أو غير نظامية، والتي ينمّي بفضلها الأفراد والكبار في المجتمع قدراتِهم وتزداد معارفُهم، ويحسّنون مؤهلاتِهم التقنيةَ أو المهنيةَ، أو يسلكون بها سبيلاً جديداً لكي يلبُّوا حاجاتهم وحاجات مجتمعهم. ويشمل التعليمُ المستمر التعليمَ غيرَ النظامي وكأنّه أحدُ أشكال التعليم غيرِ الرسمي والعفوي المتاح[٦].

وتعرفه سوسن بخيت[٧] بأنه: كلُّ المناشط التربوية المعتمدة، التي صُمِّمت خصّيصاً من أجل الكبار والشباب، وأن يكونَ هذا التعليم طوعيّاً، وأن يُحدث تغييراً في سلوك الراشد، لذلك لا بدّ أن يكون هادفاً، ويتمَّ وفقاً لخطّةٍ موضوعةٍ ومدروسة، وألا يتركَ للصدفة أو التطور الطبيعي.

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأنّه: **تلك العملية التعليمية المنظمة بأشكال مختلفة وأساليب متنوعة، تناسب الشريحة المستهدفة، سواء من خلال التعليم النظامي (الرسمي) أو غير النظامي (غير الرسمي)، طوال مراحل حياة الأفراد، بحيث لا تستثني أيَّ فرد في المجتمع، تتبناها الدولة في سياساتها التربوية؛ وصولاً لتحقيق الأهداف المعرفية والعلمية والعملية.**

التأصيل الشرعي للتعليم المستمر في القرآن الكريم

إن نزول القرآن الكريم مفصَّلا على مدار ثلاث وعشرين عاماً تقريباً ما يؤكد من مقاصد التعليم المستمر حُسنَ الفهم والاستيعاب، لا حشو الأذهان بالمعارف والمعلومات، أو التركيز على مجرد الحفظ والاسترجاع دون تدبر أو إمعان، وهذا يعني **أنّ** في نزول القرآن على قلب نبينا صلى الله عليه وسلم مدة طويلةً مع أن الله قادرٌ على أن ينزله جملةً واحدةً توجيها صريحا لهدف من أهداف التعليم المستمر، وهو الاهتمام بالنوعية والكيفية التي ثبتت بها المعلومات في العقول، لا مجرد الجمع المعرفي والتركيز على كمية المعلومات.

١,١,١,١,١,١ وقد أكّد النبي صلى الله عليه وسلم هذا الهدف كما جاء في حثه للمسلمين على تلاوة القرآن ومدارسته ومذاكرته وفهم معانيه، قال صلى الله عليه وسلم: (ما اجتمَعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللَّهِ يتلونَ كتابَ اللَّهِ ، ويتدارسونَهُ فيما بينَهم إلَّا نزلَت عليهِم السَّكينةُ ، وغشِيَتهُمُ الرَّحمةُ ، وحفَّتهُمُ الملائكَةُ ، وذكرَهُمُ اللَّهُ فيمَن عندَهُ)(٨).

ومن النصوص القرآنية التي تضمّنت إشاراتٍ واضحةً لمبدأ التعليم المستمر قوله تعالى: {**وقُلْ ربِّ زِدْنِي عِلْما**} (١١٤: طه)، قال الطبري في معنى هذه: "وقل يا محمد: رب زدني علماً إلى ما علمتني، ثم أمره بمسألته من فوائد العلم ما لا يعلم"(٩).

وقال أبو السعود: أي: سل ربك زيادة العلم(١٠).

فهذه الآية الكريمة تضمنت إشارةً واضحةً إلى مشروعية الازدياد من العلم، والاستمرار في طلبه، وأن المتعلم مهما بلغ من درجة العلم، فعليه أن يسعى دائماً إلى المزيد، فلا توقف في تحصيل العلوم والمعارف، ولا حد لانقطاعها، طالما أن المتعلم قادرٌ على المضي قدماً في نيل المزيد من المعرفة، فهو لا يفتأ مواصلا جهاده في طلبه موقناً بأنّه إن لم يفعل ذلك فلن يحتفظ بما تحصل عليه من العلم، فطلبه له أشبه ما يكون بالتجديف ضد التيار، والذي يتابع التجديف يتقدم بكل ضربة خطوة إلى الأمام؛ فإن حل به الوهن أو جنح به الكسل ولم يتابع مقاومة التيار فلن يحتفظ بما بلغ إليه، لأن التيار سيدفعه إلى الخلف حتى يرجع إلى نقطة البداية ويذهب كل ما بذله من جهد سدى، وهكذا العلم يزكو وينمو بالمتابعة والاستمرار ويخبو ويضمحل بالإهمال والهجران(١١).

ولأهمية التعلم المستمر في تعلم القرآن الكريم كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبعث القراء إلى من يدخل في الإسلام لتعليمهم التلاوة، وكان بإمكانه صلى الله عليه وسلم أن يكتب لهم، فقد بعث صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم إلى أهل يثرب (المدينة)، يعلمانهم الإسلام، ويقرئانهم القرآن (١٢).

وحين فتح مكة خلَّف على أهلها معاذ بن جبل يقرئهم القرآن(١٣).

واقتدى بسنته من بعده الخلفاء الراشدون، فقد أرسل عمر رضي الله عنه عبادة بن الصامت، ومعاذ بن جبل، وأبا الدرداء، ليعلموا أهل الشام القرآن بعد فتحها(١٤).

وكان أول من سن التعليم المنظم لحفظ كتاب الله الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأول بعثة علمية خرجت في عهده إلى الشام لتعليم القرآن الكريم حين أرسل يزيدُ بن أبي سفيان إلى عمر بن الخطاب يقول: "إن أهل الشام قد كثروا وربلوا(١٥) وملؤوا المدائن، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم، فأغثني يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم، فأرسل إليه معاذًا، وعبادة، وأبا الدرداء، فسار الأول والثاني إلى فلسطين، وسار الثالث إلى دمشق"(١٦).

ومنذ ذلك الحين لم ينقطع سيل القراء والحفاظ للقرآن الكريم، الذين تتركز مهمتهم الأولى في تعليم القرآن الكريم في الكتاتيب والمساجد.

وقد كرم القرآن الكريم الإنسان بالعلم والتعلم المستمر، وكان أول مستقبل لهذا العلم الرباني أبو البشر سيدنا آدم عليه السلام، ومن تكريمه سبحانه وتعالى للإنسان عامة، والمسلمين خاصة تعليمهم القرآن قال تعالى: {**الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**} (١-٤: الرحمن).

وأكّد القرآن الكريم اهتمامه بالعلم بكثرة، وورود كلمة العلم نكرة ومعرفة فيه دلالةٌ على أنه لا نهاية للعلم، مما يستدعي التعليم مدى الحياة؛ إذ ذكرت (٨٠) ثمانين مرة، أمّا مشتقاتها: (علم، ويعلم، ويعلمون، وعلم، ويعلم، ويتعلم، وعليم، وعلام... إلخ) فذكرت مئات المرات(١٧).

وأولى آيات القرآن الكريم نزولاً على النبي صلى الله عليه وسلم، أمرت بالقراءة والكتابة وهي مفتاح المعرفة، وأدوات تحصيل العلم، وتنمية قدرة الإنسان عِلمِ وتعلُّم ما لا يعلم من أمور دينه ودنياه، قال تعالى: {**اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وربُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**} (١-٥: العلق).

فأمة خاطبها ربها هذا الخطاب القرآني هي أمة لن تفارق العلم ولن تفرط فيه، لأنها تلازمه ملازمة الظل أو ملازمة الغريم.

كما أن المتمعن في النص القرآني الكريم: {**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**} (٦٠: الأنفال)، يجد أمرين على صلة بفكرة التعليم المستمر:

الأول: يتصل في كون التجديد والتطوير في مقومات المجتمع المسلم وقدراته مطلباً قرآنياً، وهذا يلزم الاستمرارية في البحث العلمي والاطلاع على الجديد، وعدم الجمود على ما لدى المجتمع المسلم.

والثاني: أنّ ميادين التعليم المستمر لا تختص بالعلم الشرعي فقط، وإنما تتسع لتشمل العلوم المادية الأخرى، كالعلوم الصناعية والحربية وغيرها مما يفيد المجتمع(١٨).

ففي الآية استمرار التطوير في العلوم المادية المقوية لجسم الأمة ومنعتها، وهذا يعني استمرارية الكشف عن المعرفة واستمرارية توظيفها بالشكل الأفضل لخدمة المجتمع والأمة.

وأيضاً تؤكد الآية أهمية مجال العلوم الدنيوية والمادية إلى العلوم الشرعية، وهذه هي ميادين العلم والتعليم المستمر في المنظور التربوي الإسلامي، ويجد الناظر في حياة نبي الله داود عليه السلام كيف جمع الله له تعالى بين علوم الدين، كما في قوله تعالى في حقه وحق سليمان عليهما السلام: {**وكلاً آتينا حكماً وعلماً**} (٧٩: الأنبياء)، ثم قال تعالى في حق داود عليه السلام: {**وعلمناه صنعة لبوس لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون**} (٨٠: الأنبياء)، قال السعدي: "أي: علَّم الله داود عليه السلام صنعة الدروع، فهو أول من صنعها وعلَّمها، وسرت صناعته إلى مَنْ بعده"(١٩).

فالشاهد الذي يناسب موضوع المبحث، شمولية ميدان التعليم المستمر للعلوم المادية والمهنية دون اقتصاره على الشرعية، وأن الاستزادة والاستمرارية في التعلم مطلوبة في كل ميادين المعرفة والعلوم النافعة والصالحة.

وإن كانت منظمات حقوق الإنسان اليوم تعطي أولوية لأصحاب الاحتياجات الخاصة في التعليم والتثقيف فقد سبق القرآن الكريم إلى هذا الحق حينما عاتب المولى تبارك وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم لما أعرض عن الرجل الأعمى الذي كان يحضر إلى مجلسه صلى الله عليه وسلم من أجل التعليم، فأنزل المولى تبارك وتعالى: {**عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى**} (١-٤: عبس) ومنذ نزول هذه الآيات والنبي صلى الله عليه وسلم يرحب بطالب العلم الرجل الأعمى، ويهش عند لقائه ويكرمه(٢٠).

– وكل دعوة جاء فيها النظر في سنن الله الكونية من أجل الوصول إلى توحيد الله الذي لا إله غيره وعبادته هي دعوة للتعليم المستمر عن طريق التعلم الذاتي.

ومما لا شك فيه أن مجالات التعليم المستمر في القرآن الكريم كثيرة؛ نظراً لأنها تشمل كل شيء، وقد حث الإسلام على اقتحامها وفتح أبوابها على مصراعيها.

أهداف التعليم المستمر للشخصية المسلمة في القرآن الكريم:

خلق الله الإنسان لهدف محدد لا يصح أن يحيد عنه ولا يتجاوزه، ويتضح ذلك الهدف فيما يلي:

أ- الخلافة في الأرض، حيث يقول تعالى: {**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**} (٣٠: البقرة). فالخلافة في الأرض باقية مستمرة ولا يمكن أن تتحق إلا من خلال العلم وتستمر باستمراره.

ب- العبادة، حيث يقول تعالى: {**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**} (٥٦: الذاريات). والعبادة هنا تشمل جميع أنشطة الإنسان في الأرض التي لا تتعارض مع ما جاء به الإسلام والخضوع لله تعالى، يقول تعالى: {**قُلْ إن صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**} (١٦٢: الأنعام).

ومن بين العبادة المطلوبة عمارة الأرض، حيث يقول تعالى: {**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إن رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ**} (٦١: هود).

فالتعلم المستمر أداة ضرورية للخلافة وعمارة الأرض، فهو في الإسلام عمل يتقرب به العبد الله ويبتغي به مرضاته، فليس العلم وسيلة لإفساد الأخلاق وليس وسيلة للشر، كما أنه ليس عدواً للعقيدة ولا للدين.

لذا فإنه من الضروري إعداد الإنسان المسلم للقيام بالخلافة وعمارة الأرض، ولا يتم ذلك الإعداد إلا بالتعليم المستمر للشخصية السليمة المسلمة، ولا تكون هناك تربية بدون أهداف لها تسعى تلك التربية لتحقيقها، لذا فإن الدراسة سوف تعرض فيما يلي إلى أهداف التعليم المستمر للشخصية المسلمة، وتلك الأهداف منبثقة من الهدف الرئيس الذي سبق الإشارة إليه في المقدمة.

كما أن تلك الأهداف تراعي التغيرات المعاصرة حتى يتمكن التعليم المستمر من إعداد أفراد مسلمين قادرين على التعامل مع تلك التغيرات، ويمكن إجمال تلك الأهداف ضمن الجوانب الآتية:

١-الاستمرار في تعليم وتربية الشخصية المسلمة على معرفة الله تعالى والإيمان به:

التعليم المستمر في القرآن الكريم والسنة النبوية

تقوم العقيدة الإسلامية في الإسلام على العلم لا على التسليم الأعمى، يقول الله تعالى: {**فَاعْلَمْ أنهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ**} (١٩: محمد).

ويقول سبحانه وتعالى: {**وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أنهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِن اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**} (٥٤: الحج).

وفي هذه الآية الكريمة معان ثلاثة يترتب بعضها على بعض، فالعلم يتبعه الإيمان تبعية ترتيب، ليعلموا فيؤمنوا، والإيمان تتبعه حركة القلوب من الإخبات والخشوع لله تعالى، فالعلم يثمر الإيمان، والإيمان يثمر الإخبات والخشوع[٢١]، فنقطة البداية في تربية المسلم الصالح المصلح لا بد أن تكون الإيمان بالله وبرسله وكتبه واليوم الآخر؛ لأن التعليم المستمر للشخصية المسلمة يسعى إلى إقامة هذا الإيمان على علم وعلى وعي.

٢– تربية الشخصية المسلمة على التجرد من الهوى والميل والعواطف عند البحث عن الحقائق باستمرار:

رفض القرآن الكريم العواطف والأهواء حين يتطلب الأمر الحياد والموضوعية، يقول تعالى منكراً على المشركين خضوعهم لأهوائهم: {**وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ**} (١١٦: الأنعام).

وفي خطاب الرسول عليه الصلاة والسلام: {**فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**} (٥٠: القصص).

ويهدف التعليم المستمر للشخصية المسلمة إلى حثها على عدم اتباع العواطف والأهواء والميل عن الحق، فالهوى يعمي، والميل يضل، واتباع العواطف قد يضلل الإنسان عن الحق، وخصوصاً العواطف المتأججة، مثل الحب الشديد، والكره الشديد، والغضب الشديد. وقد ورد في الحديث الصحيح: «لا يقضي القاضي وهو غضبان»[٢٢]؛ لأن انفعال الغضب يسد عليه منافذ الإدراك الصحيح لجوانب القضية المختلفة مما يجعله حكماً غير سليم[٢٣].

ويقول تعالى: {**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**} (٢٦: ص).

ويقول تعالى: {**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**} (١٨: الجاثية).

وهذا التحذير من اتباع الهوى فهو يجعل صاحبه يتأثر بعواطفه ورغباته، وفي نظرته للأمور، فيراها من زاويته الخاصة فلا تصبح الحقيقة المجردة بغيته ومطلبه، فتجعله يصدر أحكاماً من منظور مصلحته الخاصة واعتباراته الذاتية وعواطفه[٢٤] وهي في الواقع لا تمت إلى الحقيقة أو الواقع بشيء مما يترتب عليه عدم الحكم الصحيح.

والإسلام دائماً يسعى إلى مخاطبة الشخصية المسلمة العاقلة التي لا تتبع الهوى أو الظن أو ما تهوى الأنفس؛ لأنها هي التي تستطيع الوصول إلى الحقائق والكشف عنها.

٣– تربية الشخصية المسلمة على أسلوب التفكير العلمي المستمر:

يهدف التعليم المستمر في الإسلام إلى تنشئة الشخصية المسلمة وتدريبها على التفكير العلمي وذلك عن طريق إخضاع كل شيء –فيما عدا المسلمات الدينية والعقلية– للفحص والاختبار والرضا بالنتائج سواء كانت للإنسان أو عليه[٢٥].

وفي القرآن الكريم توجيهات متكررة للحث على التفكير العلمي والتدرب عليه؛ فهو يدعو إلى عدم التسرع في إصدار الأحكام قبل استكمال المعلومات اللازمة للتعرف على الحقيقة كاملة[٢٦]، يقول تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**} (٦: الحجرات).

وهو يحث على طلب الدليل لكل اعتقاد، والتوجيهات في ذلك كثيرة؛ منها: {**هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**} (٥٣: الكهف).

وتربية المسلم على التفكير العلمي يجعله يبحث عن الدليل والبرهان ويناقش ويحاور ويرد ويستمع حتى يهتدي إلى الحق والصواب[٢٧].

فالتفكير العلمي الذي ينشده التعليم المستمر هو التفكير الذي يتناول الظاهرة ككل وليس جزءاً منها، بل جميع أجزائها وما يتعلق بها ويؤدي إلى فهم الظاهرة من جميع جوانبها، وهو ما يطلق عليه "التفكير الشامل"، والذي يكون مرتبطاً بالتعمق في البحث والاستقصاء والمثابرة، ويميز هذا التفكير العصور التي يزدهر فيها العلم والاجتهاد(٢٨).

والرسول عليه الصلاة والسلام نهى أن يكون المسلم عديم التفكير، أو ليس له رأي بمعنى أنه يستسهل ولا يفكر، ويقبل أفكار غيره؛ سواء كانت صواباً أو خطأ، يقول عليه الصلاة والسلام «لا يكن أحدكم إمعة يقول أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساؤوا أسأت...»(٢٩).

والتفكير العلمي يجب ألا يقتصر على المؤسسات العلمية ومراكز الأبحاث، بل يجب أن يكون صفة يتصف بها الإنسان المسلم في جميع أمور حياته.

ولقد أدركت المؤسسات التربوية الدولية ضرورة التفكير العلمي للإنسان المعاصر الذي يتطلع للتغلب على التحديات التي أفرزها التطور الهائل في التكنولوجيا وانهيار الحدود الثقافية والاجتماعية بين المجموعات البشرية، كما أن تربية المستقبل تؤكد على أن الإنسان العلمي الذي يستعمل التفكير العلمي في كل موقف أصبح ضرورة كضرورات الحياة المادية ولوازم المعيشة اليومية(٣٠).

ويهدف أيضاً التعليم المستمر للشخصية المسلمة إلى تربية المسلم على نقد الذات، وهو نوع من التفكير الذي يصل بصاحبه إلى تحمل المسؤولية عندما تصيبه مشكلات، أو عند فشله في إنجاز ما يصبو إليه، وذلك بدلاً من إيجاد مبررات عن طريق التفكير التبريري الذي يلقي بمسؤولية فشله على غيره.

٤- الاستمرار في تربية الشخصية المسلمة على الأمانة، والتؤدة وعدم التعجل في إصدار الأحكام:

يهدف التعليم المستمر للشخصية المسلمة إلى تربية المسلم على الأمانة، لأنه يستحيل إنجاز أهداف العلم بدونها، فلا بحث عن معرفة ولا حل للمشكلات العلمية يمكن أن يمضي قدماً إذا تفشى الخداع، وأيضاً الأمانة تزكي التعاون والصدق الضروري للبحث العلمي(٣١).

والأمانة عموماً من الفضائل الأخلاقية التي دعا إليها الإسلام، بل وألزم بها وأمر بها، والأمانة في التعلم مطلب شرعي لا يجوز التخلي عنه بأي حال من الأحوال، فالأمانة من الثوابت في الإسلام التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال(٣٢).

والأمانة قرين الصدق في القول وتجنب المبالغة، وإظهار الحقيقة على حقيقتها دون تفخيم الأمور أو التحقير منها، ذلك لأن الصدق وعدم المبالغة يجعل المسلم يضع الأمور في نصابها ويجعله يتعامل مع مشكلاته أو طموحاته في إطار واقعي ويجعله مستعداً بما لديه من قدرات لمجابهة ما يعتريه من صعوبات أو تحديات.

٥- الاستمرار في تربية الشخصية المسلمة على تقدير وجهات النظر الأخرى:

يعد هذا الهدف من الأهداف التي تظهر شخصية المسلم، والتي يمكن تحقيقها من خلال التعليم والتدريب المستمر، لعدم الاندفاع إلى توليد البغض والكراهية بينه وبين غيره؛ واحترام آراء المخالفين في القضايا ذات الوجوه المتعددة، كالفقه وغيره، ما دام لكل دليله وحجته، وما دامت المسألة لم يثبت فليها نص حاسم يقطع النزاع، ومن المقرر عند علماء المسلمين أن لا إنكار في المسائل الاجتهادية؛ إذ لا فضل لمجتهد على آخر، ولا يمنع هذا من الحوار البناء والتحقيق العلمي النزيه في ظل التسامح والحب"(٣٣).

فلا يميل المسلم إلى العنف والإكراه أو نهج أسلوب من ليس معي فهو ضدي، فهذا أسلوب الذي لا يملك النظرة الثابتة للأمور، والذي تدفعه شهواته ورغباته الزائلة إلى عدم تقدير وجهات نظر الآخرين ومعاداتهم؛ لأنه لا يرى إلا نفسه فقط.

بل يجب عليه أن يتعلم ويسعى إلى معرفة ما يجهله طالما أنه دخل في دائرة فكره واهتماماته وأصبح ضرورياً له، ولا يبدي وجهة نظر غير مبنية على أدلة وحجج وبراهين.

٦- الاستمرار في تربية الشخصية المسلمة تربية متكاملة:

يهدف التعليم المستمر للشخصية إلى تربية الشخصية المسلمة تربية متكاملة من جميع النواحي، حيث إن ذلك يجعل من تلك الشخصية قوة عزيزة أبية، لا تذل ولا تضعف ولا تهين ولا تجبن، فهي تهدف إلى تربيته تربية خلقية وجسمية ونفسية وروحية وتربية عقلية وتربية جهادية، وتربية اقتصادية...إلخ)، ذلك لأن المعرفة الإسلامية اشتملت على كل ذلك؛ نظراً لأن الله تعالى خلق الإنسان ليكون خليفة في الأرض، والإنسان في منهج الإسلام عقل وجسد وروح، وأي تجاهل لأي من هذه الثلاثة يؤثر على تربية المسلم تربية متكاملة.

التأصيل الشرعي للتعليم المستمر في السنة النبوية

وضع الرسول صلى الله عليه وسلم الأمة على طريق النهضة من خلال حثه الدائم على استمرارية التعليم لدى المسلمين في كافة جوانب الحياة.

فالهدي النبوي خير هدي، من عمل به، وتمسك بحبله، ومشى في دربه، واتبع خطواته؛ نال خيراً كثيراً، وربح ربحاً عظيماً، ولمْ لا وهو هدي من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، هَدي من بذل حياته من أجل أمته، هدي من صفته كما قال الله تعالى في كتابه: **{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}** (١٢٨: التوبة)، إنه هدي الصادق الأمين محمد صلى الله عليه وسلم.

وإذا كانت التربية الحديثة تنادي بإيجاد المجتمع المعلِّم والمتعلِّم من أجل تحقيق التعليم المستمر فقد سبق إلى ذلك نداء النبي صلى الله عليه وسلم في إيجاد ذلك المجتمع الذي يقوم بنشر العلم بين أفراده من أجل رفع الجهل عنهم من خلال التعليم المستمر، قال صلى الله عليه وسلم كما جاء في حديث عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه: «ليبلغ الشاهد الغائب»[٣٤]؛ فهو صلى الله عليه وسلم لم يكتفِ بتعليم من حضر، بل حث على الاستمرار في التعليم لمن هو غائب أيضا، وقد شجع على ذلك حينما قال: «نضر الله امرأ سمع مقالتي فبلغها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[٣٥].

وقال صلى الله عليه وسلم: «من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام فبينه وبين النبيين درجة واحدة في الجنة»[٣٦].

فالإنسان يولد وهو لا يعلم شيئا، ثم لا يزال يتعلم حتى يوارى في قبره.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لن يشبع مؤمن من خير حتى يكون منتهاه الجنة»[٣٧]. والمراد بالخير: العلم.

وإذا تأملنا الأحاديث النبوية الشريفة، وجدنا أن جميع كتب الحديث الشريف التي صنفها العلماء، بحسب الموضوعات والأبواب، قد خصصت باباً للعلم ومسائله، ومن أمثلة المسائل التي تناولتها الأحاديث النبوية الشريفة في هذا الباب: (حكم طلب العلم، والتحذير من كتمان العلم عمن يسأله، والإعلام من شأن العلماء وطلاب العلم، وجعلهم في مقام المجاهدين في سبيل الله، وتفضيلهم على الشهداء، وما لهم من أجر وثواب مستمر غير منقطع، وفضل العلم وتعلمه وتعليمه، وآداب طالب العلم وتحصيله).

- **التعليم المستمر نحو الإيجابية في عمل المسلم إلى الوفاة:** عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل»[٣٨].

جاء في «فيض القدير»: (إن قامت الساعة) أي القيامة، سميت به: لوقوعها بغتة، أو لسرعة حسابها، أو لطولها، ولأنها عند الله تعالى على طولها كساعة من الساعات عند الخلائق (وفي يد أحدكم) أيها الآدميون (فسيلة) أي نخلة صغيرة، (فإن استطاع أن لا يقوم) من محله أي الذي هو جالس فيه (حتى يغرسها فليغرسها)[٣٩].

وإن هذا الحديث يعلمنا فيه النبي صلى الله عليه وسلم دروساً عظيمة **من أعظمها الإيجابية في حياة المسلم**؛ إذ لا بد أن يكون المسلم إيجابياً يشارك في هذه الحياة بكل ما يستطيع، وبقدر ما يمكنه، ولو كان ذلك في آخر لحظات الحياة.

يقول د. عبد الحي عزب: القراءة الدقيقة لمسيرة رسولنا صلى الله عليه وسلم كرجل دولة، والفهم الصحيح للعديد من توجيهاته ووصاياه يؤكدان أنه سعى بكل طاقاته لإقامة مجتمعات إسلامية حديثة، وأنه من خلال توجيهاته السديدة وأخلاقياته الراقية كان يقود المسلمين إلى حياة حافلة بالإنجازات العلمية والثمار الحضارية والقوة الاقتصادية[٤٠].

- رسولنا عليه الصلاة والسلام وضع أقدامنا –نحن المسلمين– على طريق النهضة بحق؛ حيث تحمل توجيهاته كل بواعث النهضة، وترفض كل ما يمكن أن يقف في طريق تقدم الأمة، فقد حث من خلال أحاديث واضحة وصريحة على تحصيل كل العلوم والمعارف، ودفعنا دفعاً إلى إعمال عقولنا في كل شيء في هذا الكون، وعندما عمل السابقون من علماء ومفكري وباحثي الأمة بتوصيات رسولهم الكريم صلى الله عليه وسلم تقدموا ونهضوا وبنوا أعظم حضارة شهدها التاريخ.

وشجع صلوات الله وسلامه عليه المسلمين على السعي وراء العلم وإدراكه أينما وجد، فقال: «الحكمة ضالة المؤمن، أينما وجدها فهو أحق بها»[٤١].

- ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل دولة يحمل هموم الأمة فقد ظلت دعوته **إلى العمل والكفاح طوال رحلته الحياتية**، فقد كان يؤمن بأنه لا يمكن أن تتحقق نهضة ولا استقرار اجتماعي أو اقتصادي أو أمني إلا إذا قام أبناء الأمة بما عليهم من واجب العمل والإنتاج لتوفير مقومات الحياة الكريمة لأنفسهم، وليسهموا بدورهم في تنمية ورقي وتحضر مجتمعاتهم.
- كان منهج الرسول صلى الله عليه وسلم كان منهجاً علمياً وعملياً بكل ما تحمل العبارة من معنى، **من خلال ربط الدين بتطورات الحياة ومستجداتها باستمرار** لذلك استطاع أن يضع أقدام الأمة على الطريق الصحيح، فقد وضع الرسول القائد أقدام أمته الإسلامية على طريق البناء الحضاري الصحيح، وأوضح لنا استحالة تحقيق أي تقدم أو نهضة في ميادين الحياة المختلفة بعيداً عن مكوناتنا الثقافية والحضارية المستمدة من أحكام وتعاليم وأخلاقيات وتوجهات ديننا الإسلامي الذي جاء بحق ثورة علمية وحضارية واستحق أن يكون هو الخاتم والمتمم والجامع لكل الرسالات السماوية.
- رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث ليتمم مكارم الأخلاق فحسب، بل بعث ليتمم مشهد الحضارات الإنسانية بحضارة إسلامية تربط الدنيا بالدين، لأن الإسلام من خلال تشريعاته تناول كل مجالات النشاط الإنساني ومن خلال آدابه وأخلاقياته يحقق كل ما تتطلع إليه الشعوب من حياة آمنة مستقرة.
- **استمرار العلم والعمل في الدنيا هو طريق الآخرة:** يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر**»[٤٢]. أول ما يلفت النظر في هذا الحديث هو هذه العجيبة التي يتميز بها الإسلام: أن طريق الآخرة هو طريق الدنيا بلا اختلاف ولا افتراق!
- **تطوير قدرات العمل الذاتي باستمرار:** مما يؤكد حرص التربية الإسلامية على تطوير قدرات الإنسان مع الأخذ بعين الاعتبار هدف التعلم الذاتي ما جاء في توجيه النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي كان يسأل الناس المال، حيث وجهه المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى العمل الذاتي من خلال قوله له: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيَكُفَّ الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه، أو منعوه»[٤٣].

وفي هذا الحديث توجيه من النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن يتعلم الإنسان مهنة تُحسِّن من ظروف حياته ومعيشته، يكسب فيها من خلال العمل الذاتي الذي يقوم به، بل إن الصحابة رضوان الله عليهم وعوا منهج النبي صلى الله عليه وسلم في العمل الذاتي حينما عدوا خدمة الإنسان لنفسه من ضمن ما بايعهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في حديث عوف بن مالك رضي الله عنه حينما قال: كنا عند رسول الله، صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: «ألا تبايعون رسول الله؟» وكنا حديثي عهد ببيعة، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: «ألا تبايعون رسول الله؟» فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: «ألا تبايعون رسول الله؟» قال: فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، فعلامَ نبايعك؟ قال: «على أن تبعدوا الله ولا تشركوا به شيئا والصلوات الخمس وتطيعوا- وأسرَّ كلمة خفية- ولا تسألوا الناس شيئا»، فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله إياه[٤٤].

فإذا كان من ضمن ما بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه الاعتماد على أنفسهم في أي فعل أو عمل، والقيام بالخدمة الذاتية في أي أمر يستطيع الإنسان القيام به، فأي عمل أو أمر أعظم من العلم والمعرفة والحصول عليهما، لعلنا نتفق أنه من باب أولى أن ينقب الإنسان ويبحث عن التعليم بنفسه، بما أودع الله فيه من إمكانات وطاقات وقدرات.

- **تكافؤ الفرص في التعليم المستمر:** إذا كان من أهم مبادئ التعليم المستمر في العصر الحديث هو تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص؛ فلقد تجلى في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم التعليمي مزية تكافؤ الفرص بين المتعلمين جميعا، وقد رسخ المصطفى صلى الله عليه وسلم بتعليمه الغني والفقير، والأبيض والأسود، والسيد والمملوك مبدأ تكافؤ الفرص كحق في التعليم المستمر للجميع، فلعلنا نتفق جميعا أن المجلس الذي كان يتعلم فيه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وهم من سادة قريش، هو ذاته المجلس الذي كان يتعلم فيه بلال من الحبشة، وصهيب من الروم، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

لقد تميز مجلس النبي صلى الله عليه وسلم أثناء تعليمه لصحابته بإذابة الطبقية والعرقية والقومية انطلاقا من قوله تعالى: {**لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**} (٦٣: الأنفال).

كما كان مجلس النبي صلى الله عليه وسلم التعليمي يضم العبيد والإماء وأصحاب الاحتياجات الخاصة، فقد كان يضم الكثير من الفقراء، بل لربما جلس بين يديه صلى الله عليه وسلم للتعليم أفقر من في المدينة كلها.

وقد أردف صلى الله عليه وسلم ابنَ عباس خلفه على الحمار وعلمه كلمات عظيمة، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على دابته، فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك...» الحديث)"[٤٥].

والنبي الكريم صلى الله عليه وسلم لم يهمل تعليم ذلك الغلام الصغير الذي كانت يده تطيش في الصفحة، حيث وجهه وعلمه وقال له كما جاء في حديث عمر بن أبي سلمه: «يا غلام؛ سمّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»(٤٦).

وهكذا يضرب لنا النبي صلى الله عليه وسلم أجمل الأمثلة التي تؤكد أن من خصائص التعليم المستمر في التربية الإسلامية شموليتها لكل مراحل العمر، فهي حق للكبير والصغير، حق للشيوخ والأطفال.

ومما تعنيه أيضا خاصية الشمولية في التعليم المستمر في ضوء التربية الإسلامية أن التعليم المستمر شامل للذكر والأنثى، وليس حكرا على الرجال، وكما كان هناك مجالس خاصة بتعليم الرجال، فقد خصص المصطفى صلى الله عليه وسلم مجالس خاصة بتعليم النساء، جاء عن أبي سعيد الخدري أنه قال: قال النساء لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (غلبنا عليك الرجال يا رسول الله، فاجعل لنا يوما، فوعدهن يوما فجئن فوعظهن... الحديث)(٤٧).

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى ما يأتي:

- ضرورة زيادة الاهتمام بتأصيل المفاهيم العلمية ذات الأثر وخصوصا في زمن تغول الثقافة بقوة السلاح فيظن الناس أن منشأ تلك المفاهيم العظيمة تلك الثقافات الوليدة التي عاشت على فتات تحصّلته من الثقافة الإسلامية.
- الاهتمام بالتعليم المستمر كمفهوم إسلامي ينعكس على المجتمع والفرد كثقافة وممارسة حياتية.
- يتسم مبدأ التعليم المستمر بالأصالة والمعاصرة، فهو مبدأ له تاريخه في حضارتنا، وله حضوره المتجدد في واقعنا المعاصر.

وتوصي الدراسة بأن يعطى للتعليم المستمر من قبل الدولة والمؤسسات التعليمية والتربوية مزيد من الاهتمام الفعلي والدعم المادي والمعنوي ليقوم بدوره الاجتماعي والتعليمي المنوط به على أحسن وجه.

قائمة المراجع والمصادر:

---

(١) فاروق أحمد الدسوقي، **مفاهيم قرآنية حول الإنسان**، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٦م، (ط١)، ص٣٨١.

(٢)المسيليم، محمد يوسف. والياسين، وفاء سالم. **تعليم الكبار من منظور معايير الجودة**. جامعة عين شمس– مركز تعليم الكبار، القاهرة، (١٩٨٤م).

(٣) معهد اليونسكو للتعلم مدى الحياة، **استعراض التجارب الدولية وأفضل الممارسات في مجال محو الأمية الأسرية في إطار برنامج بناء قدرات التعليم للجميع في موريتانيا، ٢٠٠٩–٢٠١١م**، ص٢١٢.

(٤) عبد الرحمن سعد الحميدي، **مدخل إلى تعليم الكبار**، الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤١٢هـ، (د ط)، ص ٤٥٦.

(٥) حامد مصطفى عمار، **تساؤلات حول تعليم الكبار نحو رسالة ومؤسسة جديدة**، القاهرة، مركز التعليم المستمر، عدد ٤، ٢٠٠٦م، ص ٧١.

(٦) دعاء عثمان عبد اللطيف، **العائد الاجتماعي لتعليم الكبار**، بحث نشر في مؤتمر "اقتصاديات التعليم المستمر"، مركز تعليم الكبار، المؤتمر السنوي الخامس، مركز التعليم المستمر، جامعة عين شمس، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، في الفترة من ٢١– ٢٣ إبريل ٢٠٠٧م، ص ٢٩٦.

(٧) بخيت، سوسن سعيد. دور الأوقاف الأهلية في دعم التعليم المستمر في السودان الكبار. بحث نشر في مؤتمر "اقتصاديات التعليم المستمر"، مركز التعليم المستمر، المؤتمر السنوي الخامس، مركز تعليم للكبار، جامعة عين شمس، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، في الفترة من ٢١– ٢٣ إبريل ٢٠٠٧م. ص ٢٦٢–٢٦٥.

(٨) مسلم بن الحجاج، (توفي ٢٦١هـ/٨٧٥م)، **صحيح مسلم**، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ج٤، ص ٢٠٧٤، برقم ٣٨ – ٢٦٩٩.

(٩) محمد بن جرير الطبري، (المتوفى ٣١٠هـ/٩٢٢م)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، (ط١)، ٢٠٠٠م، ج ١، ص ٣٨٢.

(١٠) محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود، (المتوفى ٩٨٢هـ/١٥٧٤م)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د ط)، د. ت، ج ٦، ص٤٤.

(١١) الدسوقي، **مفاهيم قرآنية حول الإنسان**، ص ٣٨١.

(١٢) أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، (المتوفى ٢٣٠هـ/٨٤٥م)، **الطبقات الكبرى**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م، (ط١)، ص ١٨١.

(١٣) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (المتوفى ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م، (ط٣)، ج١، ص٤٤٧.

(١٤) يحيى بن شرف النووي، (المتوفى ٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، **آداب العالم والمتعلم**، طنطا، مكتبة دار الصحابة، ١٩٩٦م. ص ٢٥٧.

(١٥) ربل القوم: كثر عددهم. تاج العروس (ر ب ل).

(١٦) محمد مسعدي عامر. **نمو الفكر الإسلامي وازدهاره في العهدين الأموي والعباسي**، منار الإسلام، العدد ١، السنة الخامسة، ديسمبر، ١٩٧٩م، ص ١٠٤.

(١٧) محمد فؤاد عبد الباقي، (المتوفى ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م)، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٥٤م، (ط١)، ص٤٦٩ – ٤٨١.

(١٨) عدنان مصطفى خطاطبة، **دور التعليم المستمر في مواجهة تحديات العولمة الاجتماعية من منظور تربوي إسلامي**، دراسات: علوم الشريعة والقانون، ج (٤٠)، عدد٢، الأردن، ٢٠١٣م، ص ٨٧.

(١٩) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (المتوفى ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، القاهرة، دار السلام للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م، (ط٢)، ص ٣٢٧.

(٢٠) أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى، (المتوفى ٣٠٧هـ/٩١٩م)، **مسند أبي يعلى**، تحقيق: حسين سليم أسد، دمشق، دار المأمون للتراث ١٩٨٤م، (ط١)، ج٥، ص٤٣١، رقم٣١٢٣.

(٢١) يوسف القرضاوي، **أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩١م، ص ٩٥.

(٢٢) **سنن الترمذي**، كتاب أبواب الأحكام، باب ما جاء لا يقضي القاضي وهو غضبان، ج ٣، ص١٣، رقم ١٣٣٤.

(٢٣) القرضاوي، **أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة**، ص ٩٥.

(٢٤) حسن إبراهيم عبد العال، **مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية**، السعودية، عالم الكتب للنشر والتوزيع، ١٩٨٥م، (ط١)، ص ١٨٨.

(٢٥) القرضاوي، **أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة**، ص ٩٥.

(٢٦) ماجد عرسان الكيلاني، **مقومات الشخصية المسلمة**، بيروت، مؤسسة الريان، ٢٠٠٠م، (ط١)، ص ٣٨.

(٢٧) علي عبد الحليم محمود، **التربية العقلية**، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٩٠م، (د ط)، ص ٥٣.

(٢٨) الكيلاني. **مقومات الشخصية المسلمة**، ص ٣٨.

(٢٩) **سنن الترمذي**، كتاب أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الإحسان والعفو، ج٥، ص٣٦٤، برقم ٢٠٠٧.

(٣٠) الكيلاني، **مقومات الشخصية المسلمة**، ص ٣٩.

(٣١) ديفيد ب. رزنيك. **أخلاقيات العلم**، ترجمة: د. عبد النور عبد المنعم. الكويت، عالم المعرفة، ع٣١٦، ٢٠٠٥م، ص ٨٦.

(٣٢) ماهر أبو المعاطي علي، **الخدمة الاجتماعية في المجال التعليمي**، القاهرة، دار المهندس للطباعة والنشر ٢٠٠٣م، (د ط)، ص ٥٤.

(٣٣) القرضاوي، **أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة**، ص ٩٦.

(٣٤) محمد بن إسماعيل البخاري، (المتوفى ٢٥٦هـ/٨٧٠م)، **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «رب مبلغ أوعى من سامع». القاهرة، دار الحديث، ١٩٨٨م، (ط١)، ج١، ص٢٤، برقم ٦٧.

(٣٥) أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، (المتوفى ٢٧٣هـ/٨٨٦م)، **سنن ابن ماجه**، في افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب من بلغ علما، ج ١، ص٨٤، برقم ٢٣٠.

(٣٦) أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، (المتوفى ٢٥٥هـ/٨٦٧م)، **سنن الدرامي**، المقدمة، باب فضل العلم والعالم، ج١، ص٣٦٨، برقم ٣٦٦.

(٣٧) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، (المتوفى ٤٠٥هـ/١٠١٥م)، **المستدرك على الصحيحين**، ج٤، ص١٤٤، برقم ٧١٧٥.

(٣٨) أحمد بن محمد بن حنبل، (المتوفى ٢٤١هـ/٨٥٥م)، **مسند أحمد**، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، في مسند أنس بن مالك، ج٢٠، ص٢٩٦، برقم ١٢٩٨١.

(٣٩) عبد الرؤوف المناوي، (المتوفى ١٠٣١هـ/١٦٢٢م)، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، مصر، المكتبة التجارية الكبرى ج٣، ص٣٠، ١٣٥٦هـ، (ط١).

(٤٠) صالح أحمد عزب، **التجربة العراقية في محو الأمية، مسح للواقع**، تعليم الجماهير، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة التربية السنة ٧، ع ١٦/ ٥٩ – ٧٦، ١٩٨٠م، ص ٨٦.

(٤١) **سنن ابن ماجه**، كتاب الزهد، باب الحكمة، ج٢، ص١٣٩٥، برقم ٤١٦٩.

(٤٢) **مسند أحمد**، في مسند أنس بن مالك، ج٢٠، ص٢٩٦، برقم ١٢٩٨١.

(٤٣) **صحيح البخاري**، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، ج٢، ص١٢٣، برقم ١٤٧١.

(٤٤) **صحيح مسلم**، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس، ج٢، ص٧٢١، برقم ١٠٨ – ١٠٤٣.

(٤٥) **مسند أحمد**، في مسند ابن عباس، ج٥، ص١٩، برقم ٢٨٠٣.

(٤٦) **صحيح مسلم**، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، ج٢، ص١٥٩٩، برقم ١٠٨ – (٢٠٢٢).

(٤٧) **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم؟ ج١، ص٣٢، برقم ١٠١.